سلسلة

إضاءات على الطريق

١

عمل القلب هو المقصود الأعظم

قال تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} الحج: ٣٦ - ٣٧

أي: ليس المقصود منها ذبحها فقط. ولا ينال الله من لحومها ولا دمائها شيء، لكونه الغني الحميد. ولكن يناله اتقاؤكم إياه –إن اتقيتموه– فيها؛ فأردتم بها وجهَه، وعملتم فيها بما ندبكم إليه، وأمركم به في أمرها، وعظّمتم بها حرماته، ولهذا قال: {وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} ففي هذا حث وترغيب على الإخلاص في النحر، وأن يكون القصد وجه الله وحده، لا فخرًا ولا رياءً، ولا سمعة، ولا مجرد عادة.

وهكذا سائر العبادات، إن لم يقترن بها الإخلاص وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا لبّ فيه، والجسد الذي لا روح فيه.

انظر. "جامع البيان" للطبري، و"تيسير الكريم المنان" للسّعدي.

الناس يختلفون في أعمال القلوب أكثر من اختلافهم في أعمال الأبدان. والفرقان بينهم **قصدًا وذلاً** أعظم من الفرقان بين أعمالهم البدنية؛ لأنّ من الناس:

- مَن يعبد الله لكن عنده من الاستكبار ما لا يذلّ معه، ولا يذعن لكل حق.
- مَن يكون عنده ذلّ للحق، لكن عنده نقص في القصد فتجد عنده نوعًا من الرياء مثلاً.

ومن أسباب صلاح القلب:

- القرآن والسنّة
- والرجوع إلى سيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم– بمعرفة أحواله وأقواله وجهاده ودعوته.
- وألّا تشغل قلبك بالدنيا.

انظر "القول المفيد" لابن عثيمين رحمه الله.